المحاضرة السادسة : كتاب المحيط في اللّغة للصّاحب بن عبّاد (324هـ- 385هـ)

تمهيد :

شاهد القرن الرابع معجما آخر يسير على آثار كتابي العين والتهذيب ، ذلك هو المحيط في اللّغة للصّاحب أبي القاسم إسماعيل بن عبّاد الوزير الأديب المشهور ، معجم شهير تردد ذكره كثيرا في بحوث اللّغة وكتب التاريخ والتراجم والطبقات ، أفاد وأفاد منه الكثير من أعلام اللّغة وفضلائها فيما اطلعنا عليه من معجماتهم ومؤلفاتهم القيمة ، ونال مقاما بارزا في الدراسات اللّغوية بكل جدارة واستحقاق ؛ فأصبح المعنيُّ بالتاريخ الموسوعي للغة العربية.

1- منهج الصّاحب بن عباد في كتاب المحيط :

سار الصّاحب على منهج الخليل في العين واتبع الأزهريّ في تهذيب اللغة ؛ سواء في فيما يتعلق بتسلسل الحروف مقسمة على مخارجها الصوتية ؛ أو بترتيب الأبواب داخل كل حرف ، ابتداءً بباب المضاعف الثنائي ، ثم باب الثلاثي الصحيح ، ثم باب الثلاثي المعتل ، ثم باب اللفيف ، ثم باب الرباعي ، ثم باب الخماسي ، ووافقهما في نظام التقاليب أيضا ، ويتصف منهج الكتاب بما يلي :

1/ نهج نُهج الخليل حيث افتتح مادة (عقق) بالفعل الثلاثي اللازم الذي افتتحها الخليل بها مع شيء من الإصلاح أجراه على عباراتها.

2/ اتخذ من الاختصار منهجا له وعدم الاستقصاء ، فهو يعتمد على تفسير واحد للفظ لا يتعداه ولا يحاول أن يأتي في كل لفظ بالأقوال الكثيرة المتفقة والمختلفة التي أتى بها اللغويون.

3/ الانفراد بكثير من الألفاظ والمعاني وعنايته بالعبارات المجازية .

4/ عناية المؤلف ببعض الشواهد الشعرية ولكنها قليلة.

2- مآخذ عن كتاب المحيط :

يبدو أن القدماء لم يخضعوا المحيط لدراستهم ولذلك لم تصل إلينا منهم أقوال في وصفه أو نقده ، ، ومن بين الأمور التي اختلف الناس فيها مع ابن عباد هي خطته التي اتبعها في الشواهد ، فيرون أن تقليها بهذا الحجم يعيب المعجم.

إهماله التصريح بذكر المراجع عامة في كتابه ، إن ابن عباد لم يجدد في حركة المعاجم من ناحية التنظيم ، وكل ما أضافه إلى هذه الحركة هو المادة ، إذ أتى بالكثير من الألفاظ التي لم يذكرها من قبله ، فهو كالاستدراك على المعاجم التي سبقته.